انتكاس الفطرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ(48) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)
لما خلق الله بدخلنا كل هذه النوازع والصراعات، ولما وضع بداخلى الغريزة وأمرنى بعد ذلك بكبحها، أريد أن أخوض والعب، أريد ان آحيا على هواى، أريد ان أنهل من بحر الحياة الفياض الملىء بالمتع، أخلقنا الله ليعذبنا فى الأرض؟ أم ماذا؟ ولما أحس بوجع داخلى غير ملموس لا أعرف مصدره ولا أستطيع ايقافه عندما اجترئ على المعاصى، لا اعرف له اسما ولكن اعرفه بصفاته المخزية الموجعة والله قد أنهكت نفسى من كثرة الفكر، الحياة مغرية صاخبة مثيرة، والعمر قصير جراء، و لن أضيعها فى لوم وتأنيب وتفكر فى عواقب.

فريكيكولا تلمنى ...(المبدأ الواهى لحسنى علام الركيك(ولما يتوقع أن يلومه أى أحد على أى شيء، والله ما أحمل فى قلبى إلا الإشفاق على من باع دينه بعرض من الحياة قليل ..(فريكيكو لا تلمنى) هو مسكن الفطرة الذى يحاول حسنى علام بصعوبة أن يوصل تأثيره إلى مخه، فيكف عن القلق والى فؤاده فيكف عن تأنيبه وإلى جوارحه التى كلت وملت من المعاصى والتجاوزات الأخلاقية والذنوب فتطاوعه عليها، وكثرة الران الذى يطبعه حسنى على قلبه آناء الليل وأطراف النهار كلما حاول ضميره الاستيقاظ خدَّرَه بقوله (لا تلمنى) ومن يلوم إذن وهو المخير صاحب الإرادة الحرة،(لا تلومونا) هو المبدأ العام لكل أبطال الرواية، ولكثير من بنى آدم، فكل واحد منهم متلبس دور الضحية بشكل مثير للحنق، أحسست بنفسى أريد أن أصرخ بهم جميعا: ويلكم أليس فيكم رجل رشيد؟
قبل هذا بعام كان فهمى للرواية سيكون من منظور أن الروائى دائما ما يركز قلمه على الشخوص غير المألوفة لدرجة الشذوذ ليحقق متعة للقارئ، ويصنع لنفسه البصمة المختلفة، لكن بعد تجربة شخصية لى ذقت فيها واقعية الرواية، وأحسست بمعنى أن كل إنسان فى الحياة لديه لحظة أو لحظات فى حياته، هى نقط تحول يمكن من خلالها أن يكون إذا استمسك بحبل الله من المتقين أو أن يكون من الفاسقين، كل نفس ملهمة من الله سبحانه وتعالى بالتقوى أو الفسق ولها مقعدان عند الله، واحد فى الجنة والآخر فى النار، والاختيار يكون لنا دائما لنتخير نفوسنا ومقاعدنا عند الله.
فالرواية تجسد واقعية اجتماعية يجيد نجيب محفوظ النبش عنها واستخراجها، ساعده فى ذلك كثيرا دراسته للفلسفة ونشأته فى حى مصر القديمة (حارات – شخوص متباينة_ طبقات اجتماعية متفاوتة) واقعية نجيب محفوظ صادمة فاضحة ومهينة، استطاع فيها أن يجسد صراع البشر مع غرائزهم بحرفية وسلاسة وأسلوب

ضمنى غير مباشر، أدت الى عزوفى سابقا عن قرأة اى روايات للأديب استنادا إلى فتاوى بعض علماء الدين المتنطعين بحرمانية أدب نجيب محفوظ (بالجملة)، ووافق هذا العزوف هوى في نفسى، فلم أجهد نفسى بالتفكير عن الأسباب والدوافع وراء ذلك، وآنست إلى هذا الاختيار المتوافق مع سيكلوجية شخصي فى تجاهل العورات والله حليم ستير، بعدها أدركت أن الإنكار والإخفاء ليس هما الحل.
وصف نجيب محفوظ الحياة السياسية والصراع على السلطة وصف تسجيلى تفصيلى، بحيادية أصيلة لا أخفى عليكم أنها تهيلنى فى أحيان كثيرة بعدما يتكشف لى عورات مجتمعي الإسلامى المحافظ .. ولم يضن نجيب محفوظ كاهله فى تفسير سيكلوجيات الشخصيات أو دوافعهم بل تركها للقارىء كل يراها حسب قيمه وأخلاقه وتحاربه وخلفياته ومعاييره الخاصة.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36)

عامر وجدى: يشعر أنه من النخبة التى تم إقصائها جحودا وظلما ، فلم يعطى له الفرصة للتنعم بمكاسب الثورة او حتى للاحتفال بمكاسبها .. وذلك على أساس أن الثورة قامت على اكتافه وانه قد بذل الغالى والنفيس فى سبيل نصرتها، ما قامت الثورة الا لتطهير البلاد من ذلك المتلون، ويوهم نفسه أنه ما أراد إلا إصلاحاً وما توفيقه إلا بالله(وهذا إذا كانت الثورة إسلامية) وأما إذا كانت ليبرالية(فبالتأكيد يسكون شعاره العيش والحرية والعدالة الاجتماعية) وأما إذا كانت ثورة شيوعية أو علمانية فسيكون شعاره (لا للدين) .. أمثاله من المتلونين ليس بالغريب أن يختم له بالوحدة وتيه الطريق ويترك فريسة للجدران، فقد كان شعاره طوال حياته حى على المصلحة الخاصة وانقطاع الصلة بالله

فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16)
منصور الباهى: أكثر الشخصيات غموضا ظللت كثيرا أفكر فى المؤثرات التى كونت تلك الشخصية الملامح الودودة الأنثوية هى عوامل وراثية ساهمت الأم فيها على الأرجح بنصيب أكبر من الأب، لكن ما سر كرهه الشديد لحسنى علام؟ هل السبب أنه يمثل نموذجا لم يستطيع أن يكون مثله يوما؟ أم أنه قد عانى كثيرا من وجود أشخاص بمثل خسته وسفالته فى حياته فقرر أنه إذا واتته الفرصة للتنكيل بأحدهم فلن يضيعها مثبتا لنفسه أنه وإن كان ضعيف البدن لكنه قوى الشكيمة.
حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75)
زهرة : تلك الحالمة بغد افضل ولكنها تسلك أسهل الطرق وأقصرها لتحقيق ذلك وهو الزواج من أحد الميسورين أو أحد الموظفين ذوى الشهادات العالية لينتشلها من واقعها الملطخ بالفقر والمغطى بغيام أصولها الريفية المتواضعة التجأت إلى بيئة فاسدة قد زرعت نفسها فيها بمحض إرادتها، فهى عندهم كنوع من

المقبلات المصرية التى تقدمها ماريانا أو مثلا شراب يونانى بنكهة مصرية أى بوضوح وبدون مداراة نوع من (الروم سيرفيس) أو خدمة الغرف! فبغى كل من حولها فى الاستمتاع برحيق الزهرة بلا ثمن، فخادمة ريفية حقيرة الأصل لن تخدم أهدافهم، فالأزهار (البلدى) لا تتناسب مع وصوليتهم وطموحهم للترقى شجعهم على ذلك غربتها و وجهلها وجمالها ، فالغريزة عندهم شئ و الزواج شىء أخر ، فالزواج مشروع أو صفقة أو شىء من هذا القبيل ..

فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42)

سرحان البحيرى: إذا كان شعار حسنى علام (فريكيكو لا تلمنى) ، يكون شعار سرحان البحيرى (مصلحتى أولاً)، سعى سرحان وراء مصالحه فهانت عليه نفسه، هان عليه قلبه وداس على حبه لزهرة، وهانت عليه رجولته من قبل وسمح لإحدهن بالانفاق عليه من مالها الحرام بعد أن وعدها بالزواج، وهان عليه ضميره بأبرامه أحد الصفقات المشبوهة لبيع البضائع فى السوق السوداء بعد قراءة الفاتحة، خاف سرحان من ربه ولكن لم يخشه.

فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)

ماريانا وطلبة: أحبوا الحياة، وتشبسوا بها، تحدوا السنين، رفضوا الواقع الجديد ومقتوه، يحاولون التأقلم مع المستجدات بصعوبة، ويخفون نزعتهم الطبقية الدفينة، ماريانا الوجه الذكورى لطلبة وطلبة هو الوجه الأنثوى لماريانا..

محمود: يرى النساء كالاحذية أو المتاع، طبقته الاجتماعية الدنيا شكلت له فكره أن المرأة ما هى إلا تابع للرجل، أحب محمود زهرة، ولكنه لم يحترم إنسانيتها.

هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)

فى هذه الآية الإجابة على التساؤلات الذى أثرتها فى أول المقال، لم يخلقنا الله سبحانه وتعالى إلا لنعرفه حق المعرفة فإذا عرفناه حق المعرفة عبدناه حق العبادة، ولم يخلقنا للتنافس والتصارع والتناوش والتنابز والتطاحن والتناحر، فبنو آدم إخوة لأب واحد وأم واحدة، فلنحسن إلى أنفسنا، ليحسن الله علينا بالجنة.